٣ ـ المبرأة المطهرة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

السلام على المبرأة المطهرة، ذات السيرة المعطرة، أسوة العفيفات، وقدوة الشريفات، الصدِّيقة بنت الصدِّيق، الذي كان للمصطفى أكرم رفيق، فدخل قبله إلى الغار، ليستبرئه من كل ما هو ضار، والذي فداه بنفسه وماله وولده، ووثَّق صلته به فزوجه فِلْذَة كبده، يا أعظم أمهات المؤمنين! وحليلة حبيب رب العالمين!

هل تأذنين لي بالدخول إلى محراب قُدْسِك، كي أكشف للناس غيضاً من فيض فضائل نفسك، فإنني أعجز من أن أحصيها، حتى أتحدث عنها وأبديها، ولقد سمعت أن بعضهم بلغت لديهم الأربعين، بيد أني أقول لهم: كنتم واهمين، فهم لم يعرفوك عن كَثَب، فأخطأ من أحصى وحَسَب، ولا غَرْوَ في ذلك ولا عَجَب، لأنهم لو كانوا منك قريبين لعلموا أنهم كانوا مخطئين، فيما قالوا بالظن لا باليقين.

أما الصدق، فلم يخرج غَيْرُه من فيك، وهل في الناس من له مثل أبيك؟ وكيف وأمك «أم رومان»، المشبهة بحور الجنان؟ لقد غرسا في نفسك أعظم الفضائل، وزرعا فيك أكرم الشمائل، حتى إذا انتقلتِ إلى بيت سيد البشر، نهلت من نبعه الصافي خير الجواهر والدرر، حتى غدوت ملاذاً للعلماء، ومرجعاً للفقهاء، كلهم يشيد بعلمك، ويقر بفضلك، ويعترف بعُلُوِّ كَعْبِك.

وما أحقر من اتهمك في عفتك، وأراد النيل من كرامتك وسمعتك! لقد غفل عن أنه اختارك رب الأرض والسماء، لتكوني في الدنيا والآخرة حليلة لأشرف الأنبياء، ولكن كفاك أيتها الأم الرؤوم، ما قاله الحي القيوم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحَجّ، الآية: ٣٨] فما أعظمه من فضلٍ شملك به ربُّك،

لتقر عينك ويطمئن قلبُك! فارقدي قريرة البال، محفوفة بعناية ذي الجلال، وكفى بالله نصيراً يوم يعز النصير، وظهيراً آن ينقطع الظهير.

إن من أهم مناقبك نشرَك دين الله، وبثَّ حديث مصطفاه، فجزاك الله أوفى الجزاء، وأعلى مقامك في جنته الغراء، يا أوفى الأزواج والنساء!.

والآن! أستأذنك في سرد هذه السطور، عن بعض ملامح سيرتك التي ما زال يضوع شذاها، عسى أن يأتي الرجال والنساء بها وينشِّئوا أبناءهم على هداها، ويعطروا ديارهم بذكراها.

تلكم هي أم عبد الله؛ عائشة بنت أبي بكر الصديق، والدها «عبد الله بن أبي قحافة ـ واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي» وأمها «أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سُبَيْع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كنانة»، وفي اسمها الحقيقي خلاف، ففي سيرة ابن هشام: «زينب بنت عبد دهمان» وأورد لها صاحب الإصابة اسمين هما: (زينب ودعد)، والله أعلم.

لما خلا البيت النبوي من عَبَق الطاهرة «خديجة» الفَوَّاح، ظلَّت ذكرياتها الفياضة بالدفء والحنان قابعة في مخيلة أشرف الأنبياء، وأخلص الخلصاء، وأوفى الأوفياء، إنها أم العيال وربة البيت، وقد وَجَد ـ حَزِن ـ ﷺ حتى خُشِيَ عليه، ولم يكن ثَمَّةَ بُدٌّ له من أحد يخرجه من عزلته، ويخفف من وطأة وحشته، فقد روى «الطبراني» ـ برجال ثقات ـ عن عائشة ﵂ والإمام «أحمد» في المناقب، و«البيهقي» ـ بإسناد حسن ـ عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب ـ رحمهما الله تعالى ـ وبعضه صُرِّح فيه بالاتصال عن عائشة ﵂، وأكثره مرسل؛ قالا: لما هلكت «خديجة» جاءت «خولة بنت حكيم» امرأة «عثمان بن مظعون» قالت: يا رسول الله! ألا تزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: «**فمن البكر؟**» قالت: ابنة أحب خلق الله ﷻ إليك، «عائشة بنت أبي بكر»، قال: «**ومن الثَّيِّب؟**» قالت: سودة ابْنَةُ زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول، قال: «**فاذهبي، فاذكريهما علي**»، فدخلت بيت «أبي بكر» فقالت: يا أم رومان! ماذا أدخل الله ﷻ عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه «عائشة»، قالت: انتظري «أبا بكر»

حتى يأتي، فجاء «أبو بكر»، فقالت: يا أبا بكر! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه «عائشة». قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعتْ إلى رسول الله ﷺ فذكرتْ له ذلك، قال: **«ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي»**.

قالت أم رومان: إن «مطعم بن عدي» قد كان ذكرها على ابنه، فوالله! ما وعد موعداً قط فأخلفه لأبي بكر، فدخل «أبو بكر» على «مطعم بن عدي» وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يابن أبي قحافة! لعلك مُصْبٍ صاحِبَنا، مدخلُه في دينك الذي أنت عليه إن تزوَّج إليك؟.

قال «أبو بكر» للمطعم بن عدي: أَقَوْلَ هذه تقول؟، قال: إنها تقول ذلك، فخرج من عنده وقد أذهب الله ﷻ ما كان في نفسه من عِدَتِه التي وعده. فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ، فدعته فزوجه إياها، و«عائشة» يومئذ بنت ست سنين.

ثم قالت «عائشة»: فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السُّنْح.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عِذْقَيْن غضين - ترجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة، ولي جميمة ففرقَتْهَا، ومَسَحْت وجهي بشيءٍ من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب، وإني لأَنْهَجُ أي: يتتابع نَفَسِي - حتى سَكَنَ مِنْ نفسي، ثم دخلت بي، فإذا رسول الله ﷺ على سرير في بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلسْتني في حَجْره، ثم قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك.

فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبني بي رسول الله ﷺ في بيتنا، ما نُحِرَت عليَّ جَزُور، ولا ذُبِحَت عليَّ شاة، حتى أرسل إلينا «سعد بن عبادة» بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين[1].

(١) المعجم الكبير (٢٣/٢٣، ٢٤) رقم ٥٧، ومسند أحمد (٢٤٥٨٧).

وجاء في صحيح البخاري، عن عائشة ﵂ قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوُعِكْتُ، فتمزق شَعَري فَوَفَى جُمَيْمَةً، فأتتني أمي «أم رومان»، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخَتْ بي فأتيتُها، لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأَنْهَجُ ـ يتتابع نَفِسَي ـ حتى سَكَنَ بعض نَفَسِي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يَرُعْني ـ أي: لم يفاجئني ـ إلا رسولُ الله ﷺ ضُحًى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين[(١)].

وكان رسول الله ﷺ قد أُرِيَ «عائشة» ﵂ في المنام مرتين قبل أن يخطبها، وقد روى البخاري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال لها: «**أُرِيتُك في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَةٍ من حرير، ويقال: هذه امرأتك، فأكشِفُ عنها، فإذا هي أنت، فأقول: إنْ يَكُ هذا من عند الله يُمْضِهِ**»[(٢)].

وقال «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»: كان نكاحه ﷺ «عائشة» في شوال، وابتناؤه بها في شوال، وكانت تحب أن تُدْخِلَ النساء من أهلها وأحبتها في شوال على أزواجهن، وتقول: هل كان في نسائه عنده أحظى مني؟، وقد نكحني وابتنى بي في شوال، وتوفي عنها ﷺ وهي بنت ثماني عشرة سنة، وكان مُكْثُها معه ﷺ تسع سنين، وعنها، قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين، وقبض عني وأنا ابنة ثماني عشرة سنة[(٣)].

وروى الشعبي فقال: كان «مسروق» إذا حدث عن عائشة ﵂، قال: حدثتني الصادقة ابنة الصديق، حبيبة حبيب الله[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٨١).
(٢) صحيح البخاري (٣٦٨٢).
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٨٢).
(٤) الإصابة (٤/ ٢٥٧٤) وحلية الأولياء (٢/ ٤٨).

وروى الترمذي وصححه ـ عن عمرو بن غالب: «أن رجلاً نال من «عائشة» رضي الله عنها عند «عمار بن ياسر» رضي الله عنه فقال: اغرب مقبوحاً منبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ؟»[١].

ومن طريق أبي إسحاق، عن سفيان بن سعد، قال: زاد «عمر»، «عائشة» على أزواج النبي ﷺ ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ[٢].

وقال «أبو عمر بن عبد البر» أيضاً: لم ينكح ﷺ بكراً غيرها، واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية، فقال لها: اكتني بابنك «عبد الله بن الزبير» يعني ابن أختها، وكان «مسروق» إذا حدَّث عن عائشة يقول: حدثتني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا، ذكره الشعبي، عن مسروق، وقال أبو الضُّحى، عن مسروق: رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر، يسألونها عن الفرائض.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت «عائشة» أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

وذكر الزبير، قال: حدثني عبد الرحمٰن بن المغيرة الخزامي، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: ما رأيت أحداً أروى من شِعْر من «عُرْوَة»، فقيل له: ما أرواك؟ يا أبا عبد الله! قال: وما روايتي من رواية «عائشة»! ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدت فيه شعراً.

قال الزهري: لو جمع علم «عائشة» إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ، وعلم جميع النساء، لكان علم «عائشة» أفضل.

ومن حديث «أبي موسى الأشعري»، وحديث «أنس»، عن النبي ﷺ قال: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**.

---

(١) الترمذي: في المناقب (٣٨٤٣).
(٢) الإصابة (٤/ ٢٥٧٥).

وروى أهل البصرة، عن أبي عثمان النهدي، عن عمرو بن العاص، سمعه يقول: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»(١).

وذكر «المحب الطبري» في سمطه الثمين: عن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ ذكر «فاطمة» ﵂، قالت: فتكلمت أنا، فقال: «**أما ترضين أن تكوني زوجي في الدنيا والآخرة؟**» قالت: بلى، قال: «**فأنت زوجي في الدنيا والآخرة**» .أخرجه أبو حاتم(٢).

وأخرج البخاري في صحيحه، عن محمد بن بشار: حدثنا غُنْدَر: حدثنا شعبة، عن الحكم: سمعت «أبا وائل» قال: لما بعث «عليٌّ» و«الحسن» إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب «عمار» فقال: إني لأعلم أنها زوجتُه أي: عائشة ﵂ ـ في الدنيا والآخرة ـ، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها(٣).

وروى المحب الطبري في السمط أيضاً: عن عائشة ﵂ قالت: قلت: يا رسول الله! مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «**أما أَنَّكِ منهن**».

وعنها ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة! إنه ليهون عليَّ الموت أني أُريتك زوجتي في الجنة**»، خرجه الحافظ أبو الحسن الخلعي والحافظ الدمشقي، ولفظه: «**ما أبالي بالموت قد علمت أنك زوجتي في الجنة**».

وعنها ﵂: أن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيت عائشة في الجنة كأني أنظر إلى بياض كفيها ليهون عليَّ بذلك عند موتي**». أخرجه أحمد في مسنده(٤).

وروى الطبراني، عن ذكوان حاجب عائشة ﵂ ـ أنه جاء «عبد الله بن عباس» يستأذن على «عائشة» ﵂ في مرضها، وعند رأسها ابن أخيها «عبد الله بن عبد الرحمٰن» فقلت: هذا «ابن عباس» يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها «عبد الله»

---

(١) الاستيعاب (٤/١٨٨٢، ١٨٨٣).
(٢) السمط الثمين (٥٨).
(٣) صحيح البخاري (٣٥٦١) والسمط الثمين أيضاً.
(٤) السمط الثمين (٥٩).

فقال: هذا «عبد الله بن عباس» يستأذن، وهي تموت، فقالت: دعني من «ابن عباس»، فقال: يا أُمتاه! إن «ابن عباس» من صالحي بنيك ليسلِّمْ عليكِ ويُوَدِّعْكِ، فقالت: إئذن له إن شئتَ، قال: فأدخلتُه، فلما جلس، قال: أبشري، فقالت: أيضاً؟[١]، فقال: ما بينك وبين أن تلقي «محمداً» ﷺ والأحبة إلَّا أن تخرج الروح من الجسد، كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلَّا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة «الأبواء» فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء، الآية: ٤٣] ، فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله ﷻ لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله فيه إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

فقالت: دعني منك يابن عباس! والذي نفسي بيده! لوددتُ أني كنت نسياً منسياً[٢].

وقد أمرها رسول الله ﷺ من فرط حبه لها، وخوفه عليها أن تسترقي من العين، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن معبد بن خالد، عن ابن شداد، عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[٣].

وأخرج «أبو نعيم» في «حلية الأولياء»، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! كيف حبك لي؟ قال: «**كعقدة الحبل**»، فكنت أقول: كيف العقدة؟ يا رسول الله! قال: فيقول: «**هي على حالها**»[٤].

وأخرج «البيهقي» في «السنن الكبرى» و«أبو نعيم» في «الحلية» عن أبي عبيدة؛ معمر بن المثنى ـ من تيم قريش ـ حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن

---

(١) في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٠): «إيهاً».

(٢) الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٩٠) رقم (١٠٧٨٣) والطبقات (٨/ ٧٥)، ومسند أبي يعلى (٣/ ١٣٢، ١٣٣).

(٣) صحيح مسلم (٥٥/ ٢١٩٥).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٤٩).

عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، وكنت أغزل، قالت: فنظرت إلى رسول الله ﷺ فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتوقد نوراً، قالت: فَبُهِتُّ، قالت: فنظر إليَّ، فقال: «مالك بُهِتِّ؟» فقلت: يا رسول الله! نظرت إليك فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نوراً، فلو رآك «أبو كبير الهذلي» لعلم أنك أحق بشعره، قال: «وما يقول؟ يا عائشة أبو كبير الهذلي!» فقالت: يقول:

وَمُبَرَّأً من كل غُبَّرِ حيضةٍ ... وفساد مرضعةٍ وداءُ فَعيَّلِ
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهَلِّلِ

قالت: فوضع رسول الله ﷺ ما كان في يده، وقام إليَّ، فقبل ما بين عينيَّ، وقال: «جزاك الله يا عائشة! خيراً، ما سررت مني كسروري منك»(١).

وروى الطبراني ـ بإسناد حسن ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! من أحب الناس إليك؟ قال: «ولِمَ؟» قلت: لأحب من تحب، قال: «عائشة»(٢).

وكان حبه ﷺ لعائشة ظاهراً غير خافٍ على أحد، والناس كلهم يعرفون ذلك، ومن كان يريد أن يهدي شيئاً لرسول الله ﷺ كان يحمله إليه في يوم عائشة حين يكون رسول الله ﷺ عندها. ففي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي كريب، حدثنا عَبْدَةُ، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة؛ أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم «عائشة»، يبتغون بذلك مرضاةَ رسول الله ﷺ(٣).

وقد أمر ﷺ ابنته «فاطمة الزهراء» بحب «عائشة» رضي الله عنها، فقد روى أبو يعلى في مسنده، والبزار في كشف الأستار بسند حسن ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قلت: سبتني «فاطمة»، قالت: فدعا «فاطمة» فقال: «يا فاطمة! أسببت عائشة؟» قالت: نعم، يا رسول الله! قال: «يا بنية! أليس تحبين من أحب؟» قالت: بلى، والله يا رسول الله! قال: «وتُبغضين من أبغض؟» قالت: بلى، والله يا رسول الله! قال: «فإني أحب عائشة فأَحِبِّيها».

---

(١) السنن الكبرى (٧/ ٤٢٣)، والحلية (٢/ ٥٠).
(٢) الطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٤) رقم (١١٧).
(٣) صحيح مسلم (٨٢/ ٢٤٤١).

قالت «فاطمة» ﵂ : لا جَرَمَ، لا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها بعد اليوم أبداً. قالت عائشة ﵂: فما سمعت منها شيئاً بعد ذلك[١].

إنها البَضْعَةُ النبوية: وفِلْذَة كبد الصادق المصدوق، ولم تكن «الزهراء» لتضاهي أهل العقوق، فلزمت وَصَاة أبيها، وأبت بعدُ ـ أن تعاديها ﵂، وقد أخرج مسلم في صحيحه، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام؛ أن «عائشة» زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مِرْطي، فأذن لها.

فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في (ابنة ابن أبي قحافة)، وأنا ساكتة.

قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أيْ بنية! ألستِ تحبين ما أحب؟**» فقالت: بلى، قال: «**فأحبي هذه**».

قالت: فقامت «فاطمة» حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهنَّ بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيتِ عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في «ابنة ابن أبي قحافة»، فقالت «فاطمة»: والله! لا أكلمه فيها أبداً، قالت «عائشة»: فأرسل أزواج النبي ﷺ «زينب بنت جحش»، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني ـ تعادلني وتضاهيني ـ منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من «زينب»، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّق به، وتَقَرَّب به إلى الله تعالى، ما عدا سورةً ـ عجلة ـ في الغضب من حَدٍّ ـ في بعض النسخ من حِدَّة، وهي شدة الخلق وثورانه ـ كانت فيها، تسرع منها الفيئة ـ الرجوع ـ.

قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع «عائشة» في

(١) مسند أبي يعلى (٤/ ٤٧٠، ٤٧١) رقم (٤٩٣٤)، وكشف الأستار (٣/ ٢٤٠) رقم (٢٦٦١).

مِرْطها، على الحالة التي دخلت «فاطمة» عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في «ابنة ابن أبي قحافة»، قالت: ثم وقعت بي نالت مني ـ فاستطالت عليَّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طَرْفَه ـ عينه ـ، هل يأذن لي فيها؟.

قالت: فلم تبرح «زينب» حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر.

قالت: فلما وقعت بها لم أَنْشَبْها ـ لم أمهلها ـ حين أنحيت عليها ـ قصدتها ـ، قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسَّم: «**إنها ابنة أبي بكر**»[(١)].

وكانت محببةً لضرتها «سودة» كثيراً، فقد روت أنه: كان رسول الله ﷺ يقسم لكل امرأة يومها وليلتها، غير أن «سودة بنت زمعة» وهبت يومها وليلتها لعائشة ﵂ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ.

وعنها ﵂ قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مِسْلاخها ـ جلدها ـ من سودة بنت زمعة من امرأة منها حدة، فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة قالت: يا رسول الله! قد جعلت يومي منك لعائشة. رواهما المحب الطبري في سمطه الثمين[(٢)].

وجاء في صحيح البخاري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂: أن نساء رسول الله ﷺ كُنَّ حزبين: فحزب فيه «عائشة» و«حفصة» و«صفية» و«سودة»، والحزب الآخر «أم سلمة» وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ «عائشة»، فإذا كانت عند أحدهم هدية، يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخَّرَها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت «عائشة»، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت «عائشة».

فكلَّم حزب «أم سلمة»، فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلِّم الناس، فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية، فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته «أم سلمة» بما قلن لها، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت:

---

(١) صحيح مسلم (٨٣/ ٢٤٤٢).
(٢) السمط الثمين (١٦٣، ١٦٤).

ما قال لي شيئاً، فقلن لها: فكلميه، قالت فكلَّمَتْهُ حين دار إليها أيضاً، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال لها: «**لا تؤذيني في «عائشة» فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**».

قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله! ثم إنهن دعون «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ، فأَرْسَلَتْ إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك اللهَ العدلَ في «بنت أبي بكر»، فكلمته، فقال: «**يا بنية! ألا تحبين ما أحب؟**» قالت: بلى، فرجعتْ إليهن فأخبرتْهُنَّ، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع، فأرسلن «زينب بنت جحش»، فأتته فأغلظته، وقالت: إن نساءك ينشدنك اللهَ العدلَ في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت «عائشة» وهي قاعدة فسبتها، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى «عائشة» هل تكلَّم؟ قال: فتكلمت «عائشة» ترد على «زينب» حتى أسكتتها.

قالت: فنظر النبي ﷺ إلى «عائشة»، وقال: «**إنها بنت أبي بكر**»[1].

ومن مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما ذكره «الصالحي» في كتابه «أزواج النبي ﷺ» ما رواه ابن سعد، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فضِّلتُ على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: وما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: ١ ـ لم ينكح بكراً قط غيري. ٢ ـ ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، ٣ ـ وأنزل الله ﷻ براءتي من السماء. ٤ ـ وجاءه «جبريل» بصورتي من السماء في حريرة، وقال: تزوجْها فإنها امرأتك. ٥ ـ وكنت أغتسل أنا وهو في إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري. ٦ ـ وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، ٧ ـ وكان ينزل عليه الوحي، وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري. ٨ ـ وقبض الله تعالى نفسه، وهو بين سَحْري ونَحْري. ٩ ـ ومات في الليلة التي كان يدور عليَّ فيها. ١٠ ـ ودفن في بيتي[2].

وتابع «الصالحي» قوله: وروي أيضاً عنها قالت: أُعْطِيتُ خلالاً ما أعطيتها

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢).

(٢) الطبقات (٨/ ٦٣، ٦٤) وأزواج النبي ﷺ (١١٩).

امرأة: ملكني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وأتاه المَلَكُ بصورتي في كفه فنظر إليها، وبنى بي لتسع سنين، ورأيت «جبريل» ولم تره امرأة غيري، وكنت أحب نسائه إليه، وأبي أحب أصحابه إليه، ومرض رسول الله ﷺ في بيتي فمرَّضته، وقبض ولم يشهده غيري والملائكة[١].

وتابع «الصالحي» قوله: وروى الوزير نظام الملك رحمه الله في أماليه عنها، قالت: أُعْطِيتُ عشر خصال لم تُعْطَها ذاتُ خِمار قبلي:

١ ـ صُوِّرتُ لرسول الله ﷺ قبل أن أصوَّر في رحم أمي. ٢ ـ وتزوجني بكراً ولم يتزوج بكراً غيري. ٣ ـ وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سَحْري ونَحْري. ٤ ـ ونزلت براءتي من السماء. ٥ ـ وكنت أحب الناس إليه. ٦ ـ وخُيِّر وهو بين حاقنتي وذاقنتي. ٧ ـ وتوفي في يومي. ٨ ـ ودفن في بيتي. كذا في هذه الرواية (عشراً) ولم يذكر فيها إلا ثماني خصال[٢].

وتابع الصالحي قوله: وروى أبو يعلى عنها، قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة إلا «مريم بنت عمران»: ١ ـ لقد نزل «جبريل» بصورتي في راحته (حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني). ٢ ـ ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري. ٣ ـ ولقد قُبِضَ ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي. ٤ ـ ولقد حَفَّتِ الملائكة ببيتي. ٥ ـ وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه. ٦ ـ وإني لابنة خليفته وصدِّيقه. ٧ ـ ولقد نزل عذري من السماء. ٨ ـ ولقد خلقت طَيِّبة وعندَ طيِّب. ٩ ـ ولقد وُعِدْتُ مغفرة ورزقاً كريماً[٣].

وتابع الصالحي يقول: وروى الطبراني برجال الصحيح، وابن أبي شيبة عنها، قالت: خِلالٌ فِيَّ سبعٌ ـ وفي لفظ: خِلالٌ فِيَّ لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله «مريم بنت عمران»، والله! ما أقول هذا فخراً.

---

(١) الطبقات (٨/ ٦٥) وأزواج النبي ﷺ (١١٩).
(٢) أزواج النبي ﷺ (١٢٠) والسمط الثمين (١٠٩).
(٣) أزواج النبي ﷺ (١٢٠، ١٢١) ومسند أبي يعلى (٤/ ٣٣٦، ٣٣٧).

وفي لفظ: أني أفتخر على أحد من صواحبي قيل: وما هن؟.

وفي لفظ: فقال «عبد الله بن صفوان»: وما هن؟ يا أم المؤمنين! قالت: ١ـ نزل المَلَكُ بصورتي. ٢ ـ وتزوجني رسول الله ﷺ لسبع سنين، وأهديت إليه لتسع سنين. ٣ ـ وتزوجني بكراً، ولم يشركه فِيَّ أحد من الناس. ٤ ـ وكان الوحي يأتيه وأنا وهو في لحاف واحد. ٥ ـ وكنت أحبَّ الناس إليه، وبنت أحبِّ الناس إليه. ٦ ـ ولقد نزل فِيَّ آيات من القرآن، وقد كادت الأمة تهلك فِيَّ. ٧ ـ ورأيت «جبريل» ولم يره أحد من نسائه غيري. ٨ ـ وقبض في بيتي، ولم يَلِهِ أحد غيري وغير المَلَك[١].

وفي «السمط الثمين» روى المحب الطبري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأفخر على أزواج النبي ﷺ بأربع:

١ ـ ابتكرني ـ أي: تزوجني بكراً ـ ولم يبتكر امرأة غيري.

٢ ـ ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل عليَّ إلا في بيتي.

٣ ـ ونزل بعذري قرآن يتلى.

٤ ـ وأتاه «جبريل» بصورتي مرتين، قبل أن يملك عقدي، ـ خرجه «أبو عمرو بن السماك»[٢].

وروى المحب الطبري في سمطه الثمين، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما رأيتُ مِنَ النبي ﷺ طيب نفس، قلت: يا رسول الله! أدْعُ الله لي، فقال: «**اللهم! اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسَرَّت وما أعلنت**»، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حَجْرها من الضحك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أيسرُّكِ دعائي؟**» فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؟.

فقال ﷺ: «**إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة**». أخرجه أبو حاتم.

---

(١) أزواج النبي ﷺ (١٢١، ١٢٢)، قال (سبع)، وفي العد (ثمان)، وفي سير الذهبي (تسع) والله أعلم.

(٢) السمط الثمين (٧٠).

وعند غيره أنها قالت: بأبي أنت وأمي! يا رسول الله! ادْعُ الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر.

قالت: فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، وقال: «**اللهم! اغفر لعائشة بنت أبي بكر، مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثماً**»، وقال رسول الله ﷺ: «**أفرحت؟ يا عائشة!**» فقلت: إي والذي بعثك بالحق، فقال: «**أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي، وإنها لصلاتي لأمتي في الليل والنهار، فيمن مضى منهم ومن بقي إلى يوم القيامة، أنا أدعو لهم والملائكة يؤمِّنون على دعائي**»[1].

ما أعظمك يا سيدي! وما أرأفك بأمتك! صلّى الله عليك وسلم في الأولين والآخرين، وفي الملإ الأعلى إلى يوم الدين، وحتى ألقاك على حوضك الشريف.

وكان رسول الله ﷺ يسعى إلى استرضائها إذا حصل بينهما شيء أو كان بينهما كلام، فقد أخرج «المحب الطبري» في «السمط الثمين»، عن «النعمان بن بشير» قال: جاء «أبو بكر» يستأذن على رسول الله ﷺ، فسمع «عائشة» رضي الله عنها وهي رافعة صوتها على النبي ﷺ، فأذن له فدخل، فقال: يا بنت أم رومان! أترفعين صوتك على رسول الله ﷺ! وتناولها أبوها رضي الله عنه.

قال أي النعمان ـ: فحال النبي ﷺ بينه وبينها، فلما خرج سيدنا «أبو بكر» رضي الله عنه، جعل النبي ﷺ يقول لها يترضاها: «**ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك؟**»، قال: ثم جاء سيدنا «أبو بكر» رضي الله عنه فاستأذن عليه، فوجده يضاحكها، قال: فأذن له فقال: يا رسول الله! أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما. أخرجه أحمد.

وعن «عائشة» رضي الله عنها: أنها كان بينها وبين النبي ﷺ كلام: فقال لها: «**من ترضين بيني وبينك؟ أترضين بعمر؟**» قالت: لا أرضى «عمر» قط، «عمر» غليظ، قال: «**أترضين بأبيك بيني وبينك؟**» قالت: نعم، فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) السمط الثمين (٧٠، ٧١).

«**إن هذه من أمرها كذا، ومن أمرها كذا**»، قالت: فقلت: اتقِ اللهَ ولا تقل إلَّا حقاً، قالت: فرفع «أبو بكر» يده فَرَثَمَ أنفها ـ أي: كسره حتى أدماه ـ، وقال: أنت لا أم لك يابنة أم رومان! تقولين الحق وأبوك، ولا يقوله رسول الله ﷺ! قالت: فابتدر منخراها كأنهما عَزْلاوان ـ المفرد ـ عُزْل وعزلاء، وهو مصب الماء من القربة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نَدْعُك لهذا**».

قالت: ثم قام إلى جريدة في البيت فجعل يضربها بها، فولت هاربة منه، فلزقت بظهر النبي ﷺ، قالت: حتى قال له رسول الله ﷺ: «**أقسمتُ عليكَ لَمَّا خرجت، فإنا لم ندعك لهذا**».

فلما خرج «أبو بكر» رضي الله عنه قامت فتنحَّت عن رسول الله ﷺ، فقال: «**ادني مني**»، فأبت أن تفعل، فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: «**لقد كنت قبلُ شديدة اللزوق بظهري!**». أخرجه الحافظ الدمشقي.

وعنها رضي الله عنها قالت: خرجت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وخرج معه نساؤه، قالت: وكان متاعي فيه خِفٌّ، وكان على جملٍ نَاجٍ، وكان متاع «صفية بنت حيي» فيه ثِقْلٌ، وكان على جملٍ ثِقالٍ بَطيءٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**حَوِّلوا متاع «عائشة» على «صفية»، وحولوا متاع «صفية» على جمل «عائشة» حتى يمضي الركب**». ومعنى: جمل ناجٍ: أي: سريع.

قالت «عائشة» رضي الله عنها: فلما رأيت ذلك، قلت: يا لعباد الله! غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**يا أم عبد الله! إن متاعك كان فيه خِفٌّ، وكان متاع «صفية» فيه ثِقْل فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها**». قالت: فقلت: أليس تزعم أنك رسول الله؟.

قالت: فتبسَّم وقال: «**أو في شك أنت؟ يا أم عبد الله!**»

قالت: فقلت: أولَسْتَ تزعم أنك رسول الله؟ فهلَّا عدلت! فسمعني «أبو بكر» ـ وكان فيه غَرْب ـ أي: حِدَّة ـ فأقبل عليَّ ولطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا أبا بكر!**» فقال: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالت؟

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه**»[١].

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: وجدت في كتابي، عن أبي أسامة: حدثنا هشام، ح وحدثنا أبو كريب، محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غَضْبى**»، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا، ورب «محمد»! وإذا كنت غضبى، قلت: لا، ورب «إبراهيم»!** قالت: قلت: أجل، والله! يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك[٢].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي نعيم، حدثنا عبد الواحد بن أيمن، حدثني ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة، على «عائشة» و«حفصة»، فخرجتا معه جميعاً، وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل، سار مع «عائشة» يتحدث معها، فقالت: «حفصة» لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت «عائشة» على بعير «حفصة»، وركبت «حفصة» على بعير «عائشة»، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل «عائشة» وعليه «حفصة»، فسلَّم، ثم سار معها، حتى نزلوا، فافتقدته «عائشة» فغارت، فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذْخِر وتقول: يا رب! سَلِّطْ عليَّ عقرباً أو حية تلدغني، رسولُك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً[٣].

لقد كُنَّ نساء رسول الله ﷺ يَغَرْنَ، بَيْدَ أن غيرتهن هادئة لا جلبة فيها ولا صَخَب لئلا يزعجن رسول الله ﷺ ويعكرن عليه صفو حياته، إنه خير الأزواج ﷺ، وإنهن خير النساء رضي الله عنهن.

وكانت حادثة الإفك أهم ما تعرضت له المبرأة المطهرة حبيبة حبيب رب العالمين ﵄ وقد تعددت الروايات فيها، غير أنني سأكتفي بروايتي الإمامين

---

(١) السمط الثمين (٧٢ ـ ٧٥).
(٢) صحيح مسلم (٨٠/ ٢٤٣٩)، والسمط الثمين (٧٥).
(٣) مسلم (٨٨/ ٢٤٤٥).

الجليلين «أبي عبد الله؛ محمد بن إسماعيل البخاري» و«أبي الحسين؛ مسلم بن الحجاج» لما لهما ـ رحمهما الله تعالى ـ من فضل جزيل، وجهد جليل، في نقل ما تبيَّنت لهما صحته من حديث سيد البشر ﷺ.

أما رواية الإمام البخاري فقد جاء فيها: حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرَّأها الله مما قالوا، وكُلٌّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، الذي حدثني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن «عائشة» رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمُها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت «عائشة»: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجابُ، فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فُرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقَفَلَ، ودنونا من المدينة قافلين، آذَنَ ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْعِ ظَفَارٍ قد انقطع، فالتمستُ عِقْدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحَلُون لي، فاحتملوا هودجي، فرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ ركبتُ، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم، إنما تأكل العُلْقَة من الطعام، ـ أي: ما يكتفى به من العيش ـ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السِّنِّ، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عِقْدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأَمَمْتُ منزلي الذي كنتُ به، وظننت أنهم سيفقِدونني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان «صفوان بن المُعَطَّل» السُّلَمي، ثم الذَّكْوَاني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي، والله! ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فَوَطِئَ على يديها فركبتُها، فانطلق يقود بي

الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك.

وكان الذي تولَّى الإفك «عبد الله بن أبي ابن سلول»، فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَريبُني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فيسلِّم، ثم يقول: «كيف تِيكُمْ؟»، ثم ينصرف، فذاك الذي يَرِيبُني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نَقَهْتُ، فخرجتْ معي «أُمُّ مِسْطَح» قِبَلَ المَنَاصع، وهو متبرَّزُنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نَتَّخذ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أمرُ العرب الأُوَل في التبرُّزِ قِبَلَ الغائط، فكُنَّا نتأذَّى بالكُنُف أن نتَّخذها عند بيوتنا، فانطلقتُ أنا و«أُمُّ مِسْطَح» وهي ابنة «أبي رُهْم بن عبد مناف»، وأمها «بنت صخر بن عامر» خالة «أبي بكر الصديق»، وابنها «مِسْطَحُ بن أُثاثة».

فأقبلتُ أنا و«أُمُّ مِسْطَح» قِبَلَ بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت «أُمُّ مِسْطَح» في مِرْطها ـ ثوبها ـ، فقالت: تَعِسَ «مِسْطَحٌ» فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتسبين رجلاً شهد بدراً، قالت: أيْ هَنْتَاهُ! أولم تسمعي ما قال؟

قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ ـ تعني ـ سَلَّم، ثم قال: «كيف تِيكُمْ؟»، فقلت: أتأذن لي أن آتِيَ أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهِمَا، قالت: فأَذِنَ لي رسول الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ، فقلت لأمي: يا أُمَّتاه! ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية! هَوِّني عليك، فوالله! لقلما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كَثَّرْنَ عليها.

قالت: فقلتُ: سبحان الله! ولقد تحدَّث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحتُ أبكي، فدعا رسول الله ﷺ «علي بن أبي طالب» و«أسامة بن زيد» ﷺ حين استلبث الوحي ـ أي: أبطأ ـ، يستأمرهما ـ أي: يشاورهما ـ في فراق أهله، قالت: فأما «أسامة بن زيد» فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من

براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله! أهلك وما نعلم إلا خيراً.

وأما «علي بن أبي طالب» فقال: يا رسول الله! لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ «بَرِيرَة» فقال: «**أيْ بَرِيرَةُ! هل رأيت من شيء يَريبك؟**» قالت بَرِيرَة: لا والذي بعثك بالحق، إنْ رأيتُ عليها أمراً أغْمِصُه عليها أي: أعيبه ـ أكثر من أنها جارية حديثة السِّنِّ، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من «عبد الله بن أبي ابن سلول» أي: طلب من الناس أن يَعْذِرُوه إن هو عاقبه ـ.

فقالت: فقال رسول الله ﷺ، وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين! من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله! ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**».

فقام «سعد بن معاذ» الأنصاري، فقال: يا رسول الله! أنا أعذِرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام «سعد بن عبادة»، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميَّة، فقال لسعد: كذبتَ لَعَمْرُ اللهِ، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام «أسيد بن حضير»، وهو ابن عم «سعد»، فقال لسعد بن عبادة: كذبتَ لَعَمْرُ اللهِ لنقتلنَّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتى هَمُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثتُ يومي ذلك، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم.

قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنَّان أن البكاء فالق كبدي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليَّ امرأة من

الأنصار، فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي.

قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلَّم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قَبْلَها، وقد لبث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني، قالت: فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «**أما بعد! يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري اللهَ وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، حتى ما أحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال.

قال: والله! ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

قالت: فقلت ـ وأنا جارية حديثة السِّنِّ لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ: إني والله! لقد علمتُ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لَتُصَدِّقُنِّي، والله! ما أجد لكم مَثَلاً إلا قول «أبي يوسف»، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف، الآية: ١٨].

قالت: ثم تحوَّلتُ فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله! ما كنت أظن أن الله مُنْزِلٌ في شأني وحياً يُتْلى، ولَشَأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلَّم الله فِيَّ بأمر يُتْلَى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرِّئُني الله بها، قالت: فوالله! ما رام رسول الله ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أُنْزِلَ عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء، حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجُمَان من العرق، ـ أي: مثل اللؤلؤ ـ، وهو في يوم شات، من ثِقَلِ القول الذي ينزل عليه.

قالت: فلمَّا سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أولُ كلمة تكلَّم بها: «**يا عائشة! أمَّا الله ﷻ فقد بَرَّأك**».

فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله! لا أقوم إليه، ولا أَحْمَدُ إلَّا الله ﷻ، وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ [النُّور، الآية: ١١] ، العشرَ الآياتِ كُلَّها، فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال «أبو بكر الصديق» ﷺ، وكان ينفق على «مِسْطَح بن أُثَاثَة» لقرابته منه وفقره: والله! لا أُنْفِقُ على «مِسْطَح» شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النُّور، الآية: ٢٢] .

قال «أبو بكر»: بلى والله! إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى «مِسْطَحٍ» النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله! لا أَنْزِعُها منه أبداً.

قالت «عائشة»: وكان رسول الله ﷺ يسأل «زينب ابْنَةَ جحش» عن أمري، فقال: «**يا زينب! ماذا علمتِ، أو رأيتِ؟**» فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري، ما علمتُ إلَّا خيراً.

قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها «حمنة» تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[١].

وروى البخاري: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان؛ أم عائشة أنها قالت: لما رميت «عائشة» خَرَّت مغشيًّا عليها[٢].

وأما رواية الإمام مسلم فقد جاء فيها: حدثنا حِبَّان بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يونس بن يزيد الأيليُّ، ح وحَدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظليُّ، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، (قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخران: أخبرنا) عبد الرزاق، أخبرنا معمر، والسياق حديث معمر من رواية عبدٍ وابن رافع.

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٧٣).
(٢) صحيح البخاري (٤٤٧٤).

قال يونس ومعمر، جميعاً عن الزهري: أخبرنا سعيد بن المسيِّب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة، زوج النبي ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصاً ـ أي أحفظ وأحسن إيراداً وسرداً للحديث ـ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يُصَدِّقُ بعضاً.

ذكروا أن «عائشة» زوج النبي ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يَخْرُجَ سَفَراً، أقرع بين نسائه، فأيتهُنَّ خرج سهمها، خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت «عائشة»: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ، وذلك بعدما أُنْزِلَ الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأُنْزَلُ فيه، مسيرَنا.

حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلةً بالرحيل، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيشَ، فلما قضيت من شأني، أقبلتُ إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عِقْدي من جزْعِ ظَفَارِ[1] قد انقطع، فرجعت فالتمستُ عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهطَ الذي كانوا يَرْحَلُون لي، فحملوا هودجي، فرحَلُوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خِفافاً لم يُهَبَّلْنَ أي: يثقلن باللحم والشحم ـ، ولم يَغْشَهُنَّ اللحم، إنما يأكل العُلْقة ـ البُلْغَة: القليل ـ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثِقَل الهودج حين رَحَلُوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السِّنِّ، فبَعَثُوا الجمل وساروا، ووجدتُ عِقْدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها دَاعٍ ولا مجيبٌ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقِدُوني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ.

---

(١) قال محمد فؤاد عبد الباقي ـ ﷺ تعالى ـ في تحقيقه لصحيح مسلم: ظَفَار: مبنية على الكسر، تقول: هذه ظَفَارِ، ودخلتُ ظَفَارِ، وإلى ظَفَارِ، بكسر الراء بدون تنوين في الأحوال كلها، وهي قرية باليمن.

وكان «صفوان بن المُعَطَّل» السُّلَميُّ، ثم الذكواني قد عَرَّس ـ أي: نزل آخر الليل ـ من وراء الجيش، فادَّلج ـ سار آخر الليل ـ فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يُضْرَبَ الحجاب عليَّ، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله! ما يكلمني كلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ـ أي نازلين وقت القائلة وشدة الحر ـ، فهلك من هلك في شأني.

وكان الذي تولَّى كِبْرَهُ ـ معظمه ـ، أي الإفك ـ «عبد الله بن أبي ابن سلول» فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَرِيبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلِّم، ثم يقول: «كيف تِيكُمْ؟» ـ هي إشارة للمؤنث، كذلكم، في المذكر ـ، فذاكَ يريبُني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجتُ بعدما نَقَهْتُ، ـ أي: برئت من المرض ـ.

وخرجت معي «أُمُّ مِسْطَحٍ» قِبَلَ المناصع ـ هي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها ـ، وهو متبرَّزُنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتَّخذ الكُنُفَ ـ المراحيض ـ قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أمرُ العرب الأُوَل في التنزُّه ـ أي: طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء ـ، وكنا نتأذَّى بالكنف أن نتَّخذها عِنْدَ بيوتنا.

فانطلقت أنا و«أُمُّ مِسْطَحٍ» وهي بنتِ «أبي رُهْم بن المُطَّلِب بن عبد مناف» وأمها ابنة «صخر بن عامر» خالة «أبي بكر الصديق» وابنها «مِسْطَحُ بن أُثَاثَة بن عباد بن المُطَّلِب»، فأقبلتُ أنا وبنت «أبي رُهْم» قِبَلَ بيتي حين فرغنا من شأننا.

فعَثَرت «أُمُّ مِسْطَحٍ» في مِرْطِها ـ ثوب من صوف ـ فقالت: تَعِسَ «مِسْطَحٌ»، فقلتُ لها: بئس ما قلتِ، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ قالت: أي هَنْتَاهُ![1] أولم

(١) قال ابن الأثير في النهاية: وتقم الهاء وتسكن، والمعنى: يا هذه، وقيل: يا امرأة! والمقصود أنها قليلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم.

تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت، فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ، فسلَّم، ثم قال: «**كيف تِيكُمْ؟**» قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقَّن الخبر من قِبَلِهِمَا، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ، فقلتُ لأمي:

يا أمتاه! ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية! **هَوِّني عليك، فوالله! لقلَّما** كانت امرأة قط وضيئة ـ جميلة حسنة ـ عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كَثَّرْنَ عليها ـ أي: عِبْنَها وتنقَّصْن منها ـ.

قالت: قلت: سبحان الله! وقد تحدَّث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ ـ لا ينقطع ـ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ «علي بن أبي طالب» و«أسامة بن زيد» حين استلبث ـ أبطأ ولم ينزل ـ يستشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما «أسامة بن زيد» فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يَعْلَمُ من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله! هم أهلك ولا نعلم إلَّا خيراً. وأما «علي بن أبي طالب» فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسألِ الجارية تصدقْك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ «بَرِيرَة» فقال: «**أيْ بريرةُ!، هل رأيت من شيءٍ يَريبك من «عائشة»؟**»، قالت له «بريرة»: والذي بعثك بالحق! إنْ رأيتُ عليها أمراً قط أغمِصُه عليها، ـ أي: أعيبها به ـ أكثر من أنها جارية حديثة السِّنِّ، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن ـ الشاة ـ فتأكله.

قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فاستعذر ـ طلب من ينصره ـ من «عبد الله بن أبي ابن سلول».

قالت: فقال رسول الله ﷺ، وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي؟ فوالله! ما علمتُ على أهلي إلَّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلَّا معي**».

فقام «سعد بن معاذ» الأنصاري، فقال: أنا أعذِرك منه[١]، يا رسول الله!

إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام «سعد بن عبادة»، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجْتَهَلَتْهُ ـ أي: استخفَّتْه وأغضبته وحملته على الجهل ـ الحَمِيَّة، فقال لسعد بن معاذ: كذبت، لَعَمْرُ اللهِ! لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام «أسيد بن حضير» وهو ابن عم «سعد بن معاذ» فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لَعَمْرُ اللهِ! لنقتلنَّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيَّان الأوسُ والخزرج، حتى هَمُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر.

فذلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضهم حتى سكتوا وسكتَ.

قالت: وبكيت يومي ذلك، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنتُ لها، فجلست تبكي، قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا

(١) (أنا أعذِرك منه) [قال القاضي عياض: هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد، وهو قولها: فقام «سعد بن معاذ»، فقال: أنا أعذِرك منه، وكانت هذه القصة في غزوة «المريسيع»، وهي غزوة «بني المصطلق»، سنة ست، فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن «سعد بن معاذ» مات إثر غزوة «الخندق» من الرمية التي أصابته، وذلك سنة أربع بإجماع أهل السير، إلَّا شيئاً قاله الواقدي وحده. قال القاضي: قال بعض شيوخنا: ذكر «سعد بن معاذ» في هذا وَهْم، والأشبه أنه غيره، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وإنما قال: إن المتكلم أولاً وآخراً «أسيد بن حضير»، قال القاضي: وقد ذكر «موسى بن عقبة» أن غزوة «المريسيع» كانت سنة أربع، وهي سنة الخندق. وقد ذكر البخاري اختلاف «ابن إسحاق» و«ابن عقبة»، قال القاضي: فيحتمل أن غزوة «المريسيع» وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق.
قال القاضي: وقد ذكر «الطبري» عن «الواقدي» أن «المريسيع» كانت سنة خمس، قال: وكانت الخندق وقريظة بعدها، وذكر القاضي «إسماعيل» الخلاف في ذلك، وقال: الأولى أن يكون «المريسيع» قبل الخندق.
قال القاضي: وهذا لذكر «سعد» في قصة الإفك، وكانت في «المريسيع»، فعلى هذا يستقيم فيه ذكر «سعد بن معاذ» وهو الذي في الصحيحين، وقول غير ابن إسحاق، في غير وقت «المريسيع»، أصح. هذا كلام القاضي، وهو صحيح.
وجدت هذه الحاشية في نسخة صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

رسول الله ﷺ، فسلَّم، ثم جلس.

قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «**أما بعد، يا عائشة! فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنب، فاستغفري اللهَ وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب، ثم تاب، تاب الله عليه**».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، فقال: والله! ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت، وأنا جارية حديثة السِّنِّ، لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله! لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقونَني، وإني والله! ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال «أبو يوسف»: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف، الآية: ١٨].

قالت: ثم تحوَّلتُ، فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا، والله! حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرِّئي ببراءتي، ولكن، والله! ما كنت أظن أن يُنْزَل في شأني وحيٌ يُتْلَى، ولَشَأني كان أحقَرَ في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ فِيَّ بأمر يُتْلَى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرِّئني الله بها.

قالت: فوالله! ما رام ـ أي: ما فارق ـ رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء ـ الشدة ـ عند الوحي، حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجمان ـ اللؤلؤ ـ من العرق، في اليوم الشَّاتِ، من ثِقَلِ القول الذي أُنزِل عليه.

قالت: فلما سُرِّيَ ـ كُشِفَ ـ عن رسول الله ﷺ، وهو يضحك، فكان أولَ كلمة تكلَّم بها أن قال: «**أبشري، يا عائشة! أما الله فقد بَرَّأكِ**»، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله! لا أقوم إليه، ولا أحمد إلَّا اللهَ، هو الذي أنزَل براءتي.

قالت: فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النُّور، الآية: ١١] عَشْرَ آياتٍ، فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات براءتي.

قالت: فقال «أبو بكر»، وكان ينفق على «مِسْطَح» لقرابته منه وفقره: والله! لا أنفق عليه شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النُّور، الآية: ٢٢] إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور، الآية: ٢٢].

قال حِبَّان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله، فقال «أبو بكر»: والله! إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى «مِسْطَحٍ» النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أَنْزِعُها منه أبداً.

قالت «عائشة»: وكان رسول الله ﷺ سأل «زينب بنت جحش»، زوج النبي ﷺ عن أمري: «**ما علمتِ؟ أو ما رأيتِ؟**» فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري، والله! ما علمتُ إلَّا خيراً.

قالت «عائشة»: وهي التي كانت تساميني ـ تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي ﷺ ـ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها «حَمْنَةُ بنت جحش» تُحَارِبُ لها، فهلكت فيمن هلك.

قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط، وقال في حديث يونس: احتملته الحمية ـ أي أغضبته ـ[1].

وذكر «جار الله الزمخشري» في «كَشَّافِه عن حادثة الإفك»، فقال: ولو فَلَّيت القرآن كله، وفَتَّشتَ عما أُوعِدَ به العصاة، لم تر الله تعالى قد أغلظ في شيء تغليظه في إفك السيدة «عائشة» رضي الله عنها ولا أنزل الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعقاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، وما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفتنَّة كل واحد منها كافٍ في بابه.

---

(١) صحيح مسلم (٥٦/ ٢٧٧٠).

ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة معلونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النُّور، الآية: ٢٥] فأوجز في ذلك وأشبع، وفصَّل وأجمل، وأكَّد وكرَّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلَّا لأمر(١).

وقيل: إن «أبا أيوب» الأنصاري دخل على امرأته «أم أيوب» وصدره ضائق بما سمع من حديث الإفك، فقال لها، والحزن يكاد يمزقه: يا أم أيوب! ألا ترين ما يقال؟ قالت أم أيوب: بلى، ولكن أخبرني، لو كنت بدل «صفوان بن المُعَطَّل» السُّلَمي، أكنت تَهُمُّ بسوء لِمَحْرَمِ رسول الله ﷺ؟ فردَّ «أبو أيوب» باستنكار شديد: لا، معاذ الله أن يصل فكري إلى ذلك! وأرادت «أم أيوب» أن تفصح لزوجها عن عميق إيمانها، وشدة وفائها لمن زرع الإيمان في قلبها، فقالت: ولو كنت أنا بدل «عائشة» لما خنتُ رسول الله ﷺ، و«عائشة» ـ والله! ـ خير مني، و«صفوان» خير منك.

ولا غَرْوَ أن يصدر مثل هذا الكلام العابق بالحب لخاتم المرسلين، وللمطهرة المبرأة «عائشة» أم المؤمنين، عن أهل البيت الذي دخله «جبريل» الأمين، حاملاً لرسول رب العالمين ﷺ، آيات الكتاب المبين، بعد أن نزل رسول الله ﷺ ضيفاً عليهما وكانا له مكرمين.

وإذا كان «الصديق» الذي يرجح إيمانه على إيمان العالمين، و«أم رومان» التي شبهها رسول الله ﷺ بالحور العين، قد ربَّيا «عائشة» لتكون أماً للمؤمنين، فكيف يخطر ببال أحد له أَثَارَةٌ من عقل، ومُسْكَةٌ من فهم، أن يتهم أسوة المؤمنات، وقدوة العفيفات، في طهرها وعفتها، واحتشامها وورعها، وهي التي تلقَّفت أحكام الطهارة من فم أشرف المرسلين، وغرستها في رجال ونساء وبنات المسلمين؟ ومن أحرى ممن قذفها ـ ظلماً وعدواناً، وزوراً وبهتاناً ـ بلعنة الله وملائكته والناس أجمعين؟

---

(١) انظر تفسير سورة النور في الكشاف.

لقد لجأت سيدة الطاهرات إلى باريها، فأرسل أمينه «جبريل» عليه السلام بالآيات التي تُبَرِّيها، وإذا كان الله يدافع عن الذين آمنوا، أفيتخلى عن «أمهم» في محنتها، ويعرض عن مساعدتها في شدتها؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وكفى بمن لجأت إليه ناصراً وظهيراً، وأما الذي تولَّى كبره فقد أوعده الله بعذاب عظيم.

أيتها الأم الحنون! لئن رام الذي اتهمك النيل من سمعتك، والإساءة إلى مكانتك، فذنبه عظيم، وجَزَاؤه وخيم، أما إن كان قصده أن ينال من مقام الحبيب الأعظم، والمصطفى الأكرم، فجرمه أكبر، وعقابه أخطر وأوخَم، وِفاقاً لما كسبت يداه، وتعديه على حدود الله. ولولا سمو شأنك، وعلو قدرك، ووفرة مناقبك، وانتضاء مثالبك، لما تصدَّى مدافعاً عنك الرحمٰن، ولما كنت زوج حبيبه في الجنان، فهنيئاً لك تلك الرعاية الربانية، والعناية السماوية.

وتحضرني الآن، بعض المناقب التي خُصَّت بها أم المؤمنين، من لدن رب العالمين، منها: ما رواه الطبراني ـ بإسناد حسن، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قدمنا مهاجرين، فسلكنا في ثنية صعبة، فنفر جمل كنت عليه نفوراً شديداً قوياً منكراً، فوالله! ما أنسى قول أمي: يا عويشة! فركب بي رأسه، فسمعت قائلاً يقول: ألقي خطامه، فألقيته، فقام يستدير كأنما إنسان يديره، كأنما إنسان قام تحته[1].

ثم كان من فضل الله عليها وعلى المؤمنين أن تنزل رخصة التيمم بسببها، ويوسع على المسلمين من أجلها، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأتُ على مالك، عن عبد الرحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن «عائشة» رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى «أبي بكر»، فقالوا: ألا ترى ما صنعت «عائشة»؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء «أبو بكر»، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حَبَسْتِ رسولَ الله ﷺ والناسَ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء.

(١) الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨٣).

قالت: فعاتبني «أبو بكر»، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي.

فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمَّموا، فقال «أُسَيْدُ بن الحُضَيْر» (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل «أبي بكر!»، فقالت «عائشة»: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته[١].

وفي رواية أخرى لمسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، ح وحدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، وابن بشر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة؛ أنها استعارت من «أسماء» قلادة، فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصَلَّوْا بغير وضوء، فلما أَتَوْا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال «أُسَيْدُ بن حُضَيْر»: جزاك الله خيراً، فوالله! ما نزل بت أمرٌ قط، إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة[٢].

وروى البغوي، وأبو الشيخ، عن جابر ﵁ قال: كان النبي ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت ـ يعني «عائشة» ﵂ ـ الشيءَ تابعها عليه[٣].

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ سابقها مرتين، ففازت في الأولى، وخسرت في الثانية، فقد روى الإمام أحمد ﵀ والنسائي وأبو داود والحميدي وابن أبي شيبة، واللفظ لأحمد ـ بأسانيد صحيحة، رجالها كلها رجال الصحيح ـ، عن عائشة ﵂ قالت: خرجتُ مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أَبْدُن، فقال للناس: «**تقدَّموا**» فتقدَّموا، ثم قال لي: «**تعالَيْ حتى أسابقك**» فسابقته، فسبقته، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم، وبَدُنْتُ، ونسيتُ، خرجتُ معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدَّموا**»، فتقدَّموا، ثم قال: «**تعالَيْ حتى أسابقك**» فسابقتُه، فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: «**هذه بتلك**»[٤].

---

(١) صحيح مسلم (٣٦٧/١٠٨).
(٢) صحيح مسلم (٣٦٧/١٠٩).
(٣) الأنوار للبغوي (٢٤٦) وأخلاق النبي لأبي الشيخ (٣٤).
(٤) مسند أحمد (٢٤٩١٧).

ما أحسن عشرتك ومعاملتك لأزواجك يا سيدي! حقاً إنك لعلى خلق عظيم. وأتاها ما يأتي النساء، أثناء حجها مع رسول الله ﷺ، فأمرها رسول الله ﷺ بأمره، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثني أبو بكر الحنفي: حدثنا أفلح بن حميد، سمعت القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في أشهر الحج، وليالي الحج، وحُرُم الحج، فنزلنا بسَرِفَ.

قالت: فخرج إلى أصحابه، فقال: «**من لم يكن منكم معه هدي، فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه الهدي فلا**».

قالت: فالآخذ بها، والتارك لها من أصحابه، قالت: فأما رسول الله ﷺ ورجال من أصحابه، فكانوا أهل قوة، وكان معهم الهدي، فلم يقدروا على العمرة.

قالت: فدخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: «**ما يبكيك يا هَنْتَاهْ يا ـ هذه ـ**»، قلت: سمعت قولَكَ لأصحابك، فَمُنِعْتُ العمرة.

قال: «**وما شأنك؟**» قلت: لا أصلي، قال: «**فلا يضيرك، إنما أنتِ امرأة من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجتك، فعسى الله أن يرزقكيها**».

قالت: فخرجنا في حَجته حتى قدمنا مِنًى، فَطَهَرْتُ، ثم خرجت من مِنًى، فأفضتُ بالبيت، قالت: ثم خرجت معه في النفر الآخِر، حتى نزل المحصَّب، ونزلنا معه، فَدَعا «عبد الرحمٰن بن أبي بكر»، فقال: «**اخرج بأختك من الحرم، فَلْتُهلَّ بعمرة، ثم افْرُغَا، ثم ائْتِيَا هٰهُنا، فإني أنظُرُكُما حتى تأتياني**».

قالت: فخرجنا، حتى إذا فرغتُ، وفرغتُ من الطواف، ثم جئته بسحر، فقال: «**هل فرغتم؟**»، فقلت: نعم، فآذن بالرحيل في أصحابه، فارتحل الناس، فَمَرَّ متوجِّهاً إلى المدينة[1].

(١) صحيح البخاري (١٤٨٥).

وكانت لها ﵄ ـ ألعابٌ من البنات تلعب بهن مع صواحبها، فلا يمنعها رسول الله ﷺ، وكان يسمح لها بالنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بالحراب، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵄؛ أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ.

قالت: وكانت تأتيني صواحبي فكُنَّ ينقمعن ـ يتغيَّبْنَ حياء منه وهيبة في نواحي البيت ـ من رسول الله ﷺ، قالت: فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إلي يرسلهن إلي[(١)].

وروى مسلم أيضاً: حدثني هارون بن سعيد الأيلي، ويونس بن عبد الأعلى (واللفظ لهارون) قالا: حدثنا ابن وَهْب، أخبرنا عمرو؛ أن محمد بن عبد الرحمٰن حدثه، عن عروة، عن عائشة ﵄، قالت: دخل رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاث، ـ أشعار قيلت في تلك الحرب ـ فاضطجع على الفراش، وحَوَّل وجهه، فدخل «أبو بكر» فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: «**دعهما**» فلما غَفَل غمزتهما فخرجتا، وكان يومَ عيد يلعب السودان بالدَّرق والحراب، فإمَّا سألت رسول الله ﷺ، وإمَّا قال: «**تشتهين تنظرين؟**» فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: «**دونكم يا بني أَرْفِدَةَ!**» ـ أي: عليكم بهذا اللعب ـ، حتى إذا مَلِلْتُ، قال: «**حَسْبُكِ؟**» ـ أي: يكفيك؟ قلت: نعم، قال: «**فاذهبي**»[(٢)].

وروى مسلم أيضاً: حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو، أن ابن شهاب حدثه عن عروة، عن عائشة ﵄؛ أن «أبا بكر» دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام مِنًى تغنيان وتضربان ورسول الله ﷺ مُسَجًّى بثوبه ـ مُغَطًّى ـ، فانتهرهما «أبو بكر»، فكشف رسول الله ﷺ عنه، وقال: «**دعهما يا أبا بكر! فإنها أيام عيد**».

وقالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وأنا جارية، فاقْدُروا قَدْرَ الجاريةِ العَرِبةِ الحديثةِ السِّنِّ[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (٨١/ ٢٤٤٠).
(٢) صحيح مسلم (١٩/ ٨٩٢).
(٣) مسلم (١٧/ ٨٩٢).

وكان ﷺ إذا دُعِيَ إلى طعام يستأذن الداعيَ أن يصحبها معه، فقد روى مسلم في صحيحه: وحدثني زهير بن حرب، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس؛ أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسياً، كان طيب المَرَق، فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه، فقال: «**وهذه؟**» لعائشة، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**لا**»، فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «**وهذه؟**» قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «**لا**»، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «**وهذه؟**» قال: نعم، في الثالثة، فقاما يتدافعان يمشي كل منهما في إثر صاحبه ـ، حتى أتيا منزله[١].

وقد سعدت السيدة «عائشة» رضي الله عنها برؤية «جبريل» عليه السلام دون سائر أزواج النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد في «مسنده»، وابن الجوزي في «صفة الصفوة»، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً يديه على مَعْرَفة فرس، وهو يكلم رجلاً، قلت: رأيتك واضعاً يديك على مَعْرَفة فرس «دحية الكلبي» وأنت تكلمه، قال: «**ورأيتِ؟**» قالت: نعم، قال: «**ذاك جبريل** عليه السلام، **وهو يقرئك السلام**»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، جزاه الله خيراً من صاحب ودخيل، فنعم الصاحبُ، ونعم الدخيلُ ـ أي: الضيف ـ[٢].

وروى «المحب الطبري» عنها رضي الله عنها قالت: وثب رسول الله ﷺ وثبة شديدة، فنظرتُ فإذا رجل معه واقف على برذون، وعليه عمامة بيضاء، طرفها بين كتفيه، ورسول الله ﷺ واضع يده على مَعْرَفَة برذون، فقلت: يا رسول الله! لقد راعتني وثبتك، من هذا؟ قال: «**أرأيته؟**» قلت: نعم، قال: «ومن رأيت؟» قلت: «**دحية**»، قال: «**ذاك جبريل**» أخرجه صاحب الصفوة.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ قائم يصلي في بيت «عائشة» رضي الله عنها رأت رجلاً عليه كذا وكذا، لا تدري من هو.

قال: فأخبرت النبي ﷺ بذلك، فلبس ثيابه ﷺ وخرج إليه، فإذا هو

---

(١) صحيح مسلم (١٣٩/٢٠٣٧).
(٢) مسند أحمد (٢٣٣٢٢).

«جبريل» ﵇ فقال له: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا بول ولا تماثيل، قالت: فدخل النبي ﷺ فأخذ الكلب ورمى به، ودخل عليه «جبريل» ﵇. أخرجه ابن شاهين.

وعن عائشة ﵂ ـ: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب، دخل المغتسل ليغتسل، فجاء «جبريل» ﵇ ـ فقال: لقد وضعت السلاح، ما وضعنا أسلحتنا بعدُ.

قالت عائشة ﵂: كأني أنظر إلى «جبريل» ﵇ من خَلَل الباب، قد عَقَبَ رأسه الغبار[1].

وأخرج «المحب الطبري» في سمطه الثمين أيضاً؛ عن عائشة ﵂ قالت: لما كانت ليلتي من رسول الله ﷺ تقلَّب رسول الله ﷺ فوضع نعليه عن رجليه، ووضع رداءه وسط إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أني قد رقدت، ثم انتقل رويداً وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب، وخرج أو جافه ـ أغلقه ـ رويداً، فجعلت درعي في رأسي، ثم تقنعت بإزاري، فانطلقت في إثره حتى أتى البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات، فأطال القيام، ثم انحرف فأسرع، فأسرعت، فهرول فهرولت، فأخفر فأخفرت، فسبقته، فدخلته، فليس إلَّا أن اضطجعت دخل، فقال: «**مالك؟ يا عائشة!**» قلت: لا شيء.

قال: «**لتخبريني أو يخبرني اللطيف الخبير؟**» قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! فأخبرتُه الخبر، فقال: «**أنت السواد الذي رأيت أمامي؟**» قلت: نعم، قالت: فلهزني ـ أي: دفعني بجمع كفه في صدري ـ في صدري لهزة أوجعتني، ثم قال: «**أظننتِ أن يحيف الله عليكِ ورسوله؟**».

قالت: فقلت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله.

قال: «**فإن «جبريل» أتاني حين رأيت، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، فناداني فأخفى منكِ، فأجبتُه فأخفيتُ منكِ، وظننتُ أنك قد رقدتِ، وكرهتُ أن أوقظكِ، وخشيتُ أن تستوحشي، فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر**

(١) السمط الثمين (٩٥، ٩٦).

لهم»، قلت: كيف أقول؟ يا رسول الله! قال: **«قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**. أخرجه بهذا السياق أبو حاتم، ومعناه متَّفَق عليه(١).

وكان ﷺ يحث «عائشة» رضي الله عنها على أنواع من البر، فقد روى «المحب الطبري» عنها، قالت: دخل رسول الله ﷺ فرأى كِسْرة ـ قطعة خبز ـ ملقاة، فمشى، ثم قال: **«يا عائشة! أحسني جوار نِعَمِ الله، فإنها قلَّ ما تفوت عن أهل بيت، فكادت ترجع إليهم»**.

وعن أنس رضي الله عنه ـ قال: دخل رسول الله ﷺ على «عائشة» رضي الله عنها، وهي موعوكة، فقال ﷺ: **«مالي أراك هكذا؟»** قالت: بأبي أنت وأمي! الحمى، وسَبَّتْها، فقال: **«يا عائشة! لا تسبيها فإنها مأمورة، وإن شئتِ علمتُك كلمات إذا قلتِهن أذهب الله ﷻ عنك»**، قالت: بلى، يا رسول الله! قال: **«قولي: اللهم! ارحم جلدي الرقيق، وعظمي الدقيق، من شدة الحريق، يا أُمَّ مِلْدَم! ـ كنية الحمى ـ إن كنتِ آمنتِ بالله العظيم فلا تُصَدِّعي عليَّ الرأس، ولا تغيِّري الضم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، وتحوَّلي عني إلى من اتَّخذ مع الله إلٰهاً آخر»**، قالت: فقلتها فذهبت عني. أخرجه السَّرَخْسِي(٢).

أما عن روايتها لحديث رسول الله ﷺ، فقد ذكر «الصالحي» رحمه الله في كتابه «أزواج النبي ﷺ»: روي لها عن رسول الله ﷺ ألفا حديث، ومائتا حديث، وعشرة أحاديث (٢٢١٠)، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين، وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ(٣).

وشملت سعة علمها الفرائض، والحلال والحرام، والفقه، وحديث العرب، والشعر، والخطابة والفصاحة، وفوق ذلك، فقد عَجِبَ ابن أختها «عروة بن الزبير» من علمها بالطب، فقد روى الإمام أحمد عن عروة أنه كان يقول لعائشة:

---

(١) السمط الثمين (٩٣).
(٢) السمط الثمين (٩١، ٩٢).
(٣) الصالحي (١٢٥) وتهذيب النووي (٢/ ٣٥١) وسير الذهبي (٢/ ١٣٩).

يا أمتاه! لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة «أبي بكر»، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة «أبي بكر» وكان أعلم ـ أو من أعلم ـ الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو؟ وأين هو؟ قال: فضربت على منكبه: أيْ عُرَيَّةِ! إن رسول الله ﷺ كان يَسْقَم ـ وفي لفظ: كثرت أسقامه عند آخر عمره ـ فكانت تقدم عليه وفود العرب في كل وجه، فتنعت له الأنعات ـ وفي لفظ: فكانت أطباء العرب والعجم ينعتونه ـ وكنت أعالجها فَمِنْ ثَمَّ[١].

وأما الفصاحة، فقد روى الطبراني برجال الصحيح عن موسى بن طلحة، قال: ما رأيت أحداً كان أفصح من عائشة[٢].

وأما الخطابة، فقد روى الطبراني عن معاوية، قال: والله! ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من «عائشة»[٣].

وروى الإمام أحمد في الزهد والحاكم في المستدرك، عن الأحنف بن قيس، قال: سمعت خطبة «أبي بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» والخلفاء هلمجرًّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه من فِي «عائشة»[٤].

وقد استقلت ﵂ بالفتوى زمن «أبي بكر» و«عمر» و«عثمان» وهلمجرًّا.

وروى ابن أبي خيثمة، عن سفيان بن عيينة، قال: قال «معاوية بن أبي سفيان»: يا زياد! أي الناس أعلم؟ قال: أنت، يا أمير المؤمنين! قال: أغرم عليك، قال: أما إذا عَزَمْتَ عليَّ، فعائشة[٥].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء يخبر، قال: أخبرني «عروة بن الزبير»، قال: كنتُ أنا وابنُ عمر مستندين إلى

---

(١) مسند أحمد (٦/ ٦٧) والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨٢) والصالحي (١٢٤).
(٢) الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨٢).
(٣) المعجم الكبير (٢٣/ ١٨٣) وليس فيه: ولا أفصح، ولكنها عند الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٣).
(٤) المستدرك (٤/ ١١) والصالحي (١٢٤).
(٥) المستدرك (٤/ ١٤) والصالحي (١٢٥).

حجرة «عائشة» ﵂، وإنا لنسمع ضربها بالسواك تَسْتَنُّ ـ أي: تستاك ـ، قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن! أعتمر النبي ﷺ في رجب؟ قال: نعم، فقلت لعائشة: أيْ أُمتاهُ! ألا تسمعين ما يقول «أبو عبد الرحمٰن؟» قالت: وما يقول؟ قلت: يقول: اعتمر النبي ﷺ في رجب، فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمٰن، لعمري! ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلَّا وإنه لمعه.

قال: وابن عمر يسمع، فما قال: لا، ولا نعم، سكت[١].

وأما الحياء، فكانت السيدة «عائشة» ﵂ شديدة الحياء، ولم يقتصر حياؤها على الأحياء، بل شَمِلَ الأموات أيضاً، فقد أخرج «المحب الطبري» في «سمطه الثمين»؛ عن عائشة ﵂ قالت: كنت أدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي ﵁ واضعةً ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن «عمر» ﵁، والله! ما دخلته إلَّا مشدودةً عليَّ ثيابي حياء من «عمر» ﵁، أخرجه يحيى بن مَعِين[٢].

اللهَ اللهَ يا أم المؤمنين! ما أعظم حياءك! وما أشدَّ طهرك ونقاءك! أَتَشُدِّين عليك ثيابك حياء من «عمر»، المغيب عنك تحت التراب والحجر؟ ألم يستح المرجفون الذين قذفوك يوم الإفك العظيم؟ ألم يخجل الأفَّاكون الذين خاضوا في سمعتك، فخلَّفوك في كرب أليم؟ ألم يعلموا أنك الدرة المكنونة التي أرادها الله تعالى زوجاً لحبيبه في دار النعيم؟

تبًّا لهم من مجرمين آثمين، وويل لهم يوم العرض على رب العالمين!، وذلك مِمَّا اجترحوا بحق أطهر الطاهرات، وأحصن المحصنات، عليها أسبغ الرحمات.

وأما الكرم، فهي السخية الأولى بين النساء، من غير جدل ولا مراء، وقد روى «المحب الطبري» في «السمط الثمين» وابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن محمد بن المنكدر، عن أم ذرة، وكانت تغشى عائشة ﵂ قالت: بعث إليها «ابن

(١) صحيح مسلم (٢١٩/ ١٢٥٥) والصالحي (١٢٦).
(٢) السمط الثمين (١١٧).

الزبير» بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانية ومائة ألف، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: هلمي يا جارية فطوري! فجاءت بخبز وزيت، فقالت لها «أم ذرة»: أما استطعت بما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت[١]. أخرجه في صفة الصفوة، وأخرجه «أبو معاوية» وقال: بلغ ثمانين ومائة ألف على القطع[١].

وأخبارها في هذا الباب كثيرة تعزُّ على الحصار والاستقصاء، وقد ضاق ابن أختها أسماء «عبد الله بن الزبير» بتصرفاتها، وكثرة إنفاقها، فأقسم ليحجرن عليها إن لم تنته عن هذا السلوك، فأبلغت بمقالته، فنذرت لتهجرنه، وشقَّ هجرها على ابن أختها، فاستشفع إليها، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الأدب ـ باب الهجرة، وقول النبي ﷺ: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»، فقال: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني عوف بن مالك بن الطفيل، هو ابن الحارث، وهو ابن أخي «عائشة» زوج النبي ﷺ لأمها أن «عائشة» ﵂ حُدِّثَتْ: أن «عبد الله بن الزبير» قال في بيع أو عطاء أعطته «عائشة»: والله! لتنتهيَنَّ «عائشة» أو لأحْجُرَنَّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله عليَّ نذر، ألَّا أكلم «ابن الزبير» أبداً، فاستشفع «ابن الزبير» إليها، حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله! لا أشفَّع فيه أبداً، ولا أتحنَّث إلى نذري ـ أي: لا أخالف نذري ـ.

فلما طال ذلك على «ابن الزبير»، كلم «المِسْوَرَ بن مَخْرَمَة» و«عبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث»، وهما من بني زُهْرَة، وقال لهما: أنشدُكُما باللَّهِ لَمَّا أدخلتماني على «عائشة»، فإنها لا يحل لها أن تنذِرَ قطيعتي، فأقبل به «المسور» و«عبد الرحمٰن» مشتملين بأرديتهما، حتى استأذنا على «عائشة»، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت «عائشة»: ادخلوا، قالوا: كُلُّنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كُلُّكُمْ، ولا تعلم أن معهما «ابن الزبير»، فلما دخلوا دخل «ابن

(١) السمط الثمين (١١٣) والصالحي (١٢٧) وصفة الصفوة (٢/٢٩، ٣٠) والطبقات (٨/٦٧) وحلية الأولياء (٢/٤٧).

الزبير» الحجابَ، فاعتنق «عائشة» وطَفِقَ ـ أخذ وشرع وجعل ـ يناشدها ويبكي، وطَفِقَ «المِسْوَرُ» و«عبد الرحمٰن» يناشدانها إلَّا ما كلَّمته، وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال**».

فلما أكثروا على «عائشة» من التذكرة والتحريج، طَفِقَت تذكِّرهما، وتبكي وتقول: إني نذرتُ والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت «ابن الزبير»، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك، فتبكي حتى تَبُلَّ دموعُها خِمَارها[1].

وكان مما يشهد على فضلها واحترام الأمراء لمكانتها ما أخرجه «المحب الطبري» في «سمطه الثمين» والإمام البخاري في صحيحه، عن يوسف بن ماهك، قال: كان «مروان» على الحجاز، استعمله «معاوية»، فخطب، فجعل يذكر «يزيد بن معاوية» لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له «عبد الرحمٰن بن أبي بكر» شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت «عائشة» فلم يقدِرُوا، فقال «مروان»: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٧]، فقالت «عائشة» من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري[2].

وقيل: لما أراد «معاوية بن أبي سفيان» أخذ البيعة لابنه «يزيد» أباها عليه «عبد الرحمٰن» وقال: «أهِرَقْلِيَّة؟ كلما مات قيصر قام قيصر مقامه؟ لا نفعل هذا والله! أبداً»، فبعث إليه «معاوية» بمائة ألف درهم، فردَّها ﷺ وقال: «لا أبيع ديني بدنياي».

إن «عبد الرحمٰن» و«عائشة» من آل أبي بكر، وأمهما «أم رومان»، فهل في الناس لهما من نظير؟.

وخرجت ﷺ مع رسول الله ﷺ والمسلمين إلى أحد لتسقي الجرحى

(١) صحيح البخاري (٥٧٢٥).
(٢) البخاري (٤٥٥٠).

وتضمد جراحهم، ولم تأل جهداً.

وكان أجلُّ مصابُ دُهِيَتْ به أم المؤمنين «عائشة» ﵂ يوم رحل عنها النبي ﷺ والتحق بالرفيق الأعلى، وكان عمرها ـ يومئذ ﵂ ثمانية عشر عاماً.

وقبل أن يسلم الروح الطاهر، خالط ريقه ريقها، فقد روى البخاري، عن الزهري، قال: أخبرني «عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود»: أن «عائشة» ﵂ زوج النبي ﷺ، قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأَذِنَّ له[١].

وروى البخاري، عن نافع: سمعت «ابن أبي مليكة»، قال: قالت عائشة ﵂: توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي نوبتي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه.

قالت: دخل «عبد الرحمٰن» ـ أي: أخوها ـ بسواك، فضعف النبي ﷺ عنهن، فأخذته، فمضغته، ثم سنتُه به ـ أي سوَّكت النبي ﷺ به ـ[٢].

وفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ـ على الصحيح عند الأكثرين ـ لبَّت نداء ربها، لتلحق بحبِّها سيد البشر ﷺ، ودفنت في البقيع بوصاة منها، وصلى عليها «أبو هريرة» رحمها الله تعالى رحمة واسعة، وجزاها عن أمة «محمد» ﷺ الجزاء الأوفى.

---

(١) البخاري (٢٩٣٢).

(٢) البخاري (٢٩٣٣).